ردمد: ISSN 2602-618X

أثر الاحتلال الإسباني
على ريف بايلك الغرب الجزائري

الدكتور بن صحراوي كمال، جامعة ابن خلدون تيارت

The impact of the Spanish Occupation on the Rural West of Algeria

Dr. Kamel Bensahroui, University of Ibn Khaldoun-Tiaret
K_bensahraoui@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 25/ 08/ 2019 تاريخ القبول:26/ 08/ 2019 **تاريخ النشر: 22/ 10/ 2019**

ملخص:

أدى الصراع الإسلامي النصراني في نهاية ق 15 إلى سقوط الحكم الإسلامي بالأندلس وهو ما أتبعته إسبانيا والبرتغال بنقل الصراع إلى سواحل الدويلات الإسلامية بشمال إفريقيا سواء المتوسطية أو الساحلية. وكان من نتائج ذلك سيطرة الإسبان على نقاط كثيرة على الساحل المتوسطي منها وهران والمرسى الكبير منذ بداية ق 16م حتى نهاية ق 18م.

ورغم اقتصار هذا الاحتلال على وهران ومرساها فإن أثاره بلغت المناطق الداخلية، فصار الريف يتحمل كثيرا من هذه التبعات، سواء على مستوى الأمن والاستقرار أو على مستوى الإنتاج الزراعي، أو حتى على مستوى العلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

يبحث هذا المقال في حيثيات نجاح المشروع الإسباني في تطويع بعض قبائل بايلك الغرب، والتحولات التي نتجت عن ذلك، حيث هوّن الناس في البداية من شأن التعاون مع المحتل، ثم خضعوا له فدفعوا له ضرائب مختلفة، ثم بلغ الأمر حد التعاون العسكري بين الطرفين، وهو ما أثار علماء المنطقة ضد هذه القبائل.

أما إشكالية المقال فتتمحور حول مسألتين، تتعلق أولاهما بأسباب خضوع هذه القبائل للمحتل الإسباني، وتعتني الثانية بالثمن الذي دفعه الريف – على مدى فترة طويلة – كنتيجة لهذا الخضوع.

الكلمات المفتاحية: آثار؛ الاحتلال الإسباني؛ وهران؛ الريف؛ القبائل؛ بايلك الغرب؛ العلماء.

Abstract: At the end of the 15th century the Islamic-Christian conflict led to the fall of Islamic rule in Andalusia, which was followed by Spain and Portugal by transferring the conflict to the coasts of Islamic states in North Africa, whether Mediterranean or coastal. As a result, the Spanish control was on many points on the Mediterranean coast, including Oran and Marsa Kebir from the beginning of the 16th century until the end of the 18th century. Although this occupation was limited to Oran and its anchor, its effects reached the interior areas, and the countryside submitted to many of these consequences, whether at the level of security and stability or at the level of agricultural production, or even at the level of social, cultural and political relations. This article examines the reasons for the success of the Spanish project in curbing some of the Bailek tribes of the West, and the resulting transformations, where people initially humiliated the cooperation with the occupier, and then were subjected to him and paid him various taxes, and then amounted to military cooperation between the two parties, the thing that raised the region's scholars against these tribes. The research problem of this article revolves around two issues, the first concerns the reasons for the submission of these tribes to the Spanish occupation, and the second deals with the price paid by the countryside - over a long period - as a result of this submission.

Keywords: remnant ; Spanish occupation; Oran; countryside; tribes; Bailek of the West, Oulama, Zaouaia

1- تعريف بايلك الغرب:

كانت كلمة بايلك مستخدمة عند المغول والسلاجقة، ثم انتقلت إلى اللسان التركي القديم، «وأصل مصطلح بايلك (بكلك) وهو مشكل من مقطعين بك ولك. فأما بيك وتلفظ باي في الأصل فهو لقب أبناء السلاطين الحائزين على لقب الباشوية وذريتهم، ثم استعمل لقبا لمعظم كبار الموظفين والقادة الذين يُكلفون بإدارة الولايات ويسمون وزراء الخارج».[1]

ثم تأرجح استخدام لفظ البايلك، فاستعمل للدلالة على نوع من الإيقاع الخاص بقدماء ضباط الإنكشارية المتقاعدين، ثم استخدم في الجزائر للدلالة على الإقطاعات التي تؤخذ منها الضرائب، ثم أصبح يستخدم للحديث عن الحكم الإداري العثماني في البلاد[2]، وبالتحديد عن المقاطعات الإدارية الكبرى، بعد دار السلطان. وإن كان مفهومه أوسع حيث دل على الإدارة العامة والسلطة وكل شيء عمومي تابع للدولة في مجموع القطر الجزائري[3].

ويعود تاريخ ظهور بايلك الغرب إلى النصف الأول من ق 16م، وذلك خلال حكم حسن بن خير الدين (1540م-1552م) حين قسمت البلاد إلى 04 مقاطعات،

1 - فارس كعوان، المصطلحات التاريخية العثمانية في الجزائر؛ الباشا – الدنوش – البايلك كنماذج، مجلة مدارات تاريخية، عدد خاص، 2019، ص 132.

2 - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2000، ص 241.

3 - المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني؛ العملة، الأسعار والمداخيل، ج1، الجزائر: دار القصبة للنشر، ط 1، 2009، ص 418.

وفي 1563م أصبحت مازونة عاصمة البايلك[1]، وتولى الحكمَ فيها الباي ابن خديجة الذي عينه حسن آغا على الناحية الغربية سنة 1563م، وبذلك يعتبر بمثابة الباي الأول نظرا لعمله على إقامة تنظيم إداري بالبايلك.

أما عاصمة البايلك فلم تكن مستقرة. ذلك أن موقع معسكر قريبا من وهران المحتلة وتوسطها للجهة الغربية جعل القائمين على البايلك يختارونها عاصمة له ابتداء من 1701م، حتى 1708 تاريخ تحرير وهران الأول على يد الباي مصطفى بوشلاغم الذي انتقل إليها وظل بها حتى احتلها الإسبان من جديد في 1732م، حيث خرج بوشلاغم إلى مستغانم منكسر النفس مقهورا.

وبعد وفاة بوشلاغم أعيدت العاصمة إلى معسكر من جديد لتظل بها حتى حررت وهران ثانية من الإسبان عام 1792م فانتقلت إليها العاصمة مع الباي محمد بن عثمان الكبير.

2- محاولات التوسع الإسباني والاستيلاء على وهران:

بعد نجاح الإسبان في احتلال المرسى الكبير في 23 أكتوبر 1505م أبحر الكاردينال خيميناس Ximenès في 16 ماي 1509م صحبة [2] القائد بيدرو نافارو

1 - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد ابن عبد الكريم، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، 1981، ص 16.

2 - من أهم الشخصيات الإسبانية التي شاركت في احتلال وهران:

Pedro de Navarro, Don Diego de Cordova (marquis de Comarez), Don Sanche-Martinez de Lerva, Villalva, Alonzo de Granada Venegas, Juan de Espinosa, le comte de Altamira, Gonzalo de Ayora, Don Esteban Villarroël, Geronimo Vianelli. Voir:

Henri-Léon Fey, Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination éspagnole, Oran, Editeur Adolphe Perrier, 1858, p 68

Pedro Navaro على رأس 15000 جندي نزلوا بالمرسى الكبير، ومنها إلى وهران شرقا في 18 من نفس الشهر، مستعينين باليهودي المكاس الإشبيلي سطورا [1] وبعض الخونة أمثال عيسى العربي وابن قانص الذين فتحوا لهم أبواب المدينة سرا، ولما دخلوها قتلوا 4000 من سكانها وحولوا مساجدها إلى كنائس [2].

وقد حاول عروج بربروس تخليص تلمسان من الحكم الزياني الموالي للإسبان فزحف على تلمسان لنجدة عبد الله الزياني ضد عمه أبي حمو [3] حليف الأعداء الذين استولوا على قلعة بني راشد وقتلوا إسحاق أخا عروج بعد أن أمّنوه [4]، كما قتلوا الإسكندر أحد ضباطه [5] وأهانوا أهل القلعة ومساجدها، لكن خير الدين استطاع فيما بعد تحريرها هي وتلمسان [6].

---

1 – يقال له الزاوي بن كبيسة، وقد أدخل الجيش سرا بعد أن فتح له الأبواب وسهل عليه التنكيل بأهل المدينة. يراجع:

محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط 2، 2007، ص 141

2 – يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، الجزائر: دار البصائر، طبعة خاصة، 2009، ص 41

3 - Gorguos, « Notice sur le Bey d'Oran Mohammed El Kebir » Revue Africaine, vol № 2, 1857, p 30

4 – مسلم بن عبد القادر الوهراني، أنيس الغريب والمسافر، تقديم وتحقيق رابح بونار، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 1، 1974، ص 12

5 – للتعرف على الظرف الذي قتل فيه الإسكندر يراجع:

Elie de Primaudaie, «Documents inédits sur l'histoire de l'occupation éspagnole en Afrique, (1506-1574)», Revue Africaine, vol № 19, 1875, p 149

6 - Gorguos, « Notice sur le Bey…» Op.cit, vol № 2, 1857, pp 29 – 30

يشار إلى أن الحكم الزياني الحليف للإسبان ظل قائما بتلمسان حتى 1554م وهو تاريخ نهاية حكم الأسرة الزيانية وخضوع عاصمتهم للحكم العثماني.

كما وجه الإسبان عنايتهم إلى مستغانم فأخضعوها وأجبروا سكانها على توقيع معاهدة في 26 ماي 1511م قبلوا بموجبها خدمة ملك إسبانيا، على أن يدفعوا لأمين خزينة وهران الضرائب والرسوم التي كانوا يدفعونها سابقا لمملكة تلمسان في 01 جوان من كل عام، وأن يطلقوا سراح الأسرى المسيحيين. كما التزموا بتزويد وهران والمرسى الكبير بالمواد الغذائية وغيرها من السلع بأسعارها العادية[1].

ورغم ذلك استطاعت مستغانم الخروج عن طاعة الإسبان وهو ما جعلهم يشنون عليها حملة كبيرة في أوت 1558م لكن قائدها دالكوديت لقي مصرعه بمزغران في معركة دامت 03 أيام خسر فيها الإسبان 20 ألفا بين أسير وقتيل[2]. ولكي يتم تثبيت سلطة البايلك بالمنطقة بعث باي مازونة ابن خديجة بعد هذه الحادثة بسنوات قليلة إلى مستغانم أول قايد، وكان من عرب مجاهر يسمى مولود بن قطاط، وكان رجلا حكيما له مكانة بين قومه، وكلفه بجمع ضريبة للخزينة[3].

وكانت هذه الهزيمة التي مني بها الإسبان في مزغران قد جعلتهم ينكفئون عن أنفسهم بوهران، وصاحبَ ذلك كثيرٌ من محاولات توسيع العلاقات مع قبائل الجهة الغربية حتى لا يضيق الأمر عليهم خصوصا وأنهم لم يعودوا يتزودون إلا عن طريق البحر.

1 – عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره، 1505-1792، الجزائر: دار هومة، ط 1، 2012، ص 60.

2 – محمد بن يوسف الزياني، مرجع سابق، ص 143.

3- Esterhazy, De la Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris, Librairie de Charles Gosselin, 1840, p 165.

3- آثار الاحتلال على الريف:

أ - إخضاع القبائل:

مباشرة بعد احتلال المرسى الكبير بدأ سكان الريف يعانون من توسعات الإسبان على حساب الأراضي المجاورة له ولوهران، ففي 06 جوان 1507م تعرض دوار من قبيلة غمرة [1] إلى هجوم إسباني ليلي أسفر عن أسر الكثير من الرجال والنساء والاستحواذ على المواشي [2]، وفي 1513م هاجم الإسبان نفس القبيلة غرب المرسى الكبير في منطقة بين الجبل والبحر فأوقعوا بأبنائها المحاربين ورجعوا بالغنائم، وفي 1514م هاجمت بعض المجموعات الإسبانية الصغيرة المدعمة بأسلحة خفيفة أطرافَ سبخة وهران وطالت الونازرة فأخضعتهم حتى اعتنق بعضهم المسيحية، وفي 1517م هاجمت مجموعة إسبانية قيزة [3] قرب تامزورة وعادت بغنائم هامة [4].

ونتيجة لهذه التطورات الخطيرة وجد بنو عامر أنفسهم في مواجهة الإسبان الذين احتلوا وهران وأجبروا كثيرا من القبائل القريبة منها على الخضوع، ففي 1517م

---

1 - فرقة يزيد عدد دواويرها على الستة اندرجت في سلك حميان بالسكنى، «وهم من البربر، نسبة لجدهم غمرة البربري ... وأصل مسكنهم برقة، ثم انتقلوا للمغرب فجالوا فيه إلى أن سكنوا بالحفرة وراء وهران مع حميان ... وقد نصروا الإسبانيين نصرة شديدة على المسلمين». يراجع:
عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، بيروت: دار مكتبة الحياة، ط 1، 1972، ص 28

2 - Diego Suarez Montanes, Mers-El-Kebir, traduit par Berbrugger, Revue Africaine, vol № 09, 1865, p 411

3 - قيزة أو جيدزة وهم من بني عامر، من البطن المعروف ببني حميد، وينسبون إلى جدهم قيزة بن عامر بن إبراهيم ابن يعقوب بن معروف. يراجع:
عبد القادر المشرفي، مرجع سابق، ص 21

4 - L, Guin, «Quelques notes sur les entreprises des Espagnols pendant la première occupation d'Oran», Revue Africaine, vol № 30, 1886, p 317

أُخضعت قيزة، وفي 1523م خضع أولاد علي [1] الذين كانوا يستقرون بمنطقة تليلات [2]، ثم جاء دور شافع بعين الأربعاء في 1528م. وحدث أن قرّب العثمانيون بني راشد فصار لذلك دورٌ في تصميم بني عامر على مواصلة ولائهم للإسبان، غير أنهم عاشوا – رغم ذلك – في الظل حيث استقر بعضهم في التل وصار بعضهم الآخر يخضع للترحال مستجيبا لظروف داعية إليه [3].

ونتيجة لهذا التوسع في الريف وجدت السلطة الحاكمة في وهران الشجاعة لتمنح الجندي الإسباني منزلا وبعض الأراضي الصالحة للزراعة التي تم الاستحواذ عليها بالغارة على القبائل، وذلك كله لإغرائه حتى يشارك في الدفاع عن المدينة، ولكن هذا الإجراء البسيط كان يهدف أكثر إلى تثبيت استراتيجية الاستعمار القاضية بالتمركز في الأرض والتشبث بها [4].

1 – كان أولاد علي في البداية مستقرين شرق تاسالة لكن أولاد عبد الله طردوهم فاتجهوا أولا إلى منطقة عين البرد. يراجع:

Mohamed El Korso et Mikel de Epalza, Oran et l'Ouest Algérien au 18 siècle d'après le rapport Aramburu, Alger, 1978, p 85

2 – حقول واسعة قليلة الخصوبة تغطيها الأوحال والأدغال الكثيفة التي تُلاحظ على أشجارها القواقع الزعفرانية التي تنتهي صدفة الواحدة منها البيضاءُ بدائرة صفراء تميل إلى السمرة، ومن شدة روعتها صارت تتراءى لناظرها ثريات ونجوما ترف فوق الأغصان. يراجع:

أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، 1830 – 1855، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1989، ص 131

3 - Pierre Boyer, «Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger (XVIe-XIXe siècles)», Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, № 1, 1966, pp 49-50

4 - Mohamed El Korso et Mikel de Epalza, Op.cit, p 163

ونظرا لهذه الظروف القاسية – وعوض البحث عن حل جذري لهذه المأساة – صار سكان الريف يفاوضون من أجل سلامتهم فحازوها فعلا لكن مؤقتا لأن الإسبان «نسوا وعودهم» وصاروا يذبحون كل من تطاله أيديهم [1]، وهو ما جر القبائل القريبة من وهران إلى قبول «التعاون» مع الإسبان في انتظار التحول لاحقا إلى خدمتهم مقابل «السلام» وجني بعض الأرباح الناتجة عن إمدادهم بما يحتاجون إليه من مؤونة.

ونظرا لهذا لدعم اللوجيستي الهام الذي حظي به الإسبان بسبب تحالفهم مع هذه القبائل المحيطة بوهران تمكنوا من الخروج من محيط المدينة والتوغل نحو الداخل حتى جهات سعيدة ومعسكر، وصار الجيش الإسباني خلال هذه الهجمات ينهب ويسبي ويقتل إلى درجة إبادة قبائل كاملة، وأدى ذلك كله إلى تراجع الحياة الاقتصادية بانتقال الناس من الزراعة إلى الرعي بسبب الخوف الشديد الذي كثيرا ما قادهم إلى الهروب من أراضيهم والتوجه نحو المناطق المنيعة.

ب- اشتداد الاضطرابات وقلة الأمن:

مع مرور الوقت اشتدت الحرب أكثر بين المسلمين والإسبان، واستعان كل طرف بمجموعة من الجواسيس الذين ينقلون الأخبار ويحذرون من العدو، ففي زمن علج علي (1569م – 1571م) ألقي القبض على رجل اسمه بن عودة، وكان جاسوسا للإسبان على الجزائر يرسلونه من وهران لهذا الغرض، وهومن قلعة بني راشد، بينما كان لعلج علي اثنا عشر جاسوسا يبحثون عن جاسوس الإسبان ليعرفوه، فلما

1 - L, Guin, Op.cit, p 317

حصل لهم ذلك أخذوه إلى علج علي فكلمه مرارا إلى أن عرف منه كل شيء، ثم أمر البنائين بإلقائه في صندوق البنيان «فرموه بوثاقه فيه، وكملوا الصندوق بالتعمير» [1].

وكان الإسبان قد ركزوا على ضواحي وهران ومستغانم منذ بداية الاحتلال فجندوا الكثير من الجواسيس أمثال أحمد بن علي، حدو باحمد، أحمد بن بواري، عصار، امحمد ومحمد بن حسون، لعراب عبد الله، إبراهيم بن إهين، وابن عقبة. وجندوا كثيرا من اليهود أمثال أبراهام بن زميرو وصمويل ستورا [2].

وحدث أن واحدا من هؤلاء «المغاطيس» قصد وهران بهدف الوشاية بأحد دواوير المنطقة، فالتقى برجل إسباني وعرض عليه الأمر مشترطا تزويجه بإحدى العربيات الأسيرات لدى الإسبان وإعطاءه مهرها و07 بياستر [3] مقابل كل جزائري يُلقى القبض عليه.

وانتقل الإسباني إلى الحاكم العام ليعرض عليه الأمر فاستحسنه، وبعث مسيحيا مع واحد من المغاطيس للتأكد من موضع الدوار بينما ظل الواشي تحت الحراسة

---

1 – ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمع واعتناء فارس كعوان، العلمة: بيت الحكمة، ط1، 2009، ص ص 41 – 42

والمقصود بالتعمير بناء برج باب الواد الذي بدأ في عهد علج علي، وكان يقف على إنجازه بنفسه.

2 – عبد القادر فكاير، مرجع سابق، ص 240

3 – هو القرش المكسيكي أو القرش الإسباني ويعرف محليا بقرش بومدفع، وكان ذا أهمية كبيرة في التعامل بمنطقة بايلك الغرب، كانت قيمته تساوي نصف سلطاني أو ما يعادل 5.5 فرنك فرنسي. يراجع كل من:

حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط 2، 1982، ص 67

عبد القادر فكاير، مرجع سابق، ص 257، ص 260

المشددة، وحين جاء الخبر إلى الحاكم وجه مجموعة من الجنود فقتلوا من الدوار الكثير وسبوا وغنموا.

ثم جاء دور تقسيم الغنائم فكان نصيب الحاكم العام أسيرين عربيين ذكرا وأنثى، وواحدا من كل شيء مسروق، بينما بيعت الغنائم الباقية لتوزع على 160 يأخذ منها الحاكم خمسها بموجب الحق الذي أقره له ملك إسبانيا، وبذلك يصل نصيبه إلى 10000 بياستر. أما الرجل الإسباني الذي كان سببا في هذه الغارة فكان نصيبه من الغنائم هاما جدا، خصوصا وقد تدعمت الخزينة بما كان يدفعه كثير من الأسرى لافتداء أنفسهم، بينما بيع كثير منهم في إسبانيا مقابل مبالغ ضخمة للغاية [1].

كان هؤلاء المغاطيس إذاً يجمعون الأخبار الصحيحة والكاذبة، وثمن خيانتهم يساوي 05 دورو إسباني (25 فرنكا). كما تحول ما بين 150 و200 فارس من هذه القبائل الحليفة إلى «كشافين» يسهّلون تنقلات الإسبان، ويُرسَلون أحيانا إلى الريف فإذا ألقوا القبض على أحد أخذوه عبدا إلى وهران، كما كانوا يتكفلون بشراء المواد الضرورية وأحيا يسرقونها، لكن إذا وقع أحدهم في قبضة القبائل المعادية للإسبان قطعت يده ثم قتل [2].

في 1543م استفاد الإسبان من خبرة رابح بن صولة [3] العلياوي جد الصوالة [1] في معرفة بعض مناطق بايلك الغرب، حيث قادهم عبر بني تالة ثم واد الحمام

1 - Don José Vallejo, «Contribution à l'histoire du Vieil Oran», traduit et annoté par J. Cazenave, Revue Africaine, vol № 66, 1925, pp 365-367

2 - Édouard Lapène, Tableau historique de la province d'Oran, depuis le départ des Espagnols en 1792, jusqu'à l'élévation d'Abdel-Kader en 1831, Metz, Bibliothèque Royale, 1842, p 06

3 – من «أولاد علي القبيل» وهم فرقة من بني عامر، كان جبارا عنيدا ظالما شديدا، فارسا شجاعا، مطيعا للكفر مانعا للإسلام. يراجع:

ليوصلهم إلى أهل الكرط [2] فينهبوهم، ثم تشجعوا فهاجموا الكرط مرتين أخريين، ولذلك هرب السكان وتفرقوا مذعورين، «واليوم نجد الكراطة في الدواوير، وأذكر من بينهم عائلة الحبيب ابن الشريف» [3].

وبتحالف بعض القبائل مع الإسبان اشتد عودهم لأنه تحالف حوّل أبناءها إلى خدم في النهاية، فحين أراد الإسبان إقامة قلعة مرجاجو صعب عليهم نقل الماء «فكان أول من أتاهم بقِرب الماء لأجل إقامته شيخ حميان وقبيلته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» [4] وقد جعلت هذه الحادثة بعض الناس يهجون حميان [5]:

لا تكب الما من قربة لـمـن يـقول أنـا حـمـيانـــي
ادفع الكلب مع ريبـة وقول قلبه ما زال نصراني [6]

غير أن المجتمع والسلطة كليهما لم ينس لهذ القبائل موقفها المتخاذل هذا، فانبرى العلماء يفضحون المتخاذلين ويبينون حقيقتهم بل وموقف الشرع منهم، ولعل أهم

عبد القادر المشرفي، مرجع سابق، ص 31

1 – أو الصواولة. يراجع:

محمد بن يوسف الزياني، مرجع سابق، ص 142

2 – كان فيها 50 كانونا في 1741م. يراجع:

Mohamed El Korso et Mikel de Epalza, Op.cit, p 47

3- L, Guin, Op.cit, p 320

4 – محمد بن يوسف الزياني، مرجع سابق، ص 146

5 – يجب الوقوف مليا عند مسألة تعميم الأحكام، فإذا كان هؤلاء الأجداد قد أخطأوا ففي ذريتهم حتما من نأى بنفسه عن مثل هذه الممارسات وعاش صالحا.

6 – محمد بن يوسف الزياني، مرجع سابق، ص 146 الهامش رقم 71

موقف في هذا المجال هو موقف عبد القادر المشرفي [1] صاحب « بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر».

ففي معرض الحديث مثلا عن دور قبيلة شافع [2] في دعم النصارى بوهران كتب المشرفي: «وكانوا أهل نجدة وبأس شديد وقتال عتيد، ورأي وتدبير، وحيلة وتشمير، فتقوّى بهم الإسبانيون بغاية التمكين، واشتدت شوكتهم على المسلمين، واعتدّوا بهم وصاروا مُشْتدين، وأكثروا من شن الغارات على الأقربين والأبعدين، فكانوا عيونهم الباصرة وجنودهم الهائلة المتكاثرة وإخوتهم النصحاء، وأحباءهم النجباء، وصاروا شجى في حلق الدين باحتكام، وقذى في عيون الإسلام، وحلاوة في قلوب الكفرة اللئام، فكم غزوا على المسلمين، وكم سبوا بهم من المؤمنين، وكم جاسوا بهم خلال الديار، وكم سلكوا بهم صعاب الأقطار» [3]

1 – عبد القادر بن عبد الله بن محمد المشرفي (توفي عام 1192هـ / 1778م) ولد بالكرط قرب معسكر، نشأ ودرس بالمنطقة وصار واحدا من فقهاء المالكية، كما كان له اهتمام بالتاريخ. يراجع:
فوزية لزغم، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، الجزائر: دار سنجاق الدين للكتاب، ط 1، 2009، ص 132
عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط 2، 1980، ص 303

2 – استقروا بسهل مليتة في جهة العين البيضاء وجبل سيدي سعيد التلمساني، كما يوجد تجمع آخر يعرف بشافع في الجنوب الغربي من السبخة. يراجع:
Mohamed El Korso et Mikel de Epalza, Op.cit, p 89

3 – عبد القادر المشرفي، مرجع سابق، ص 26
وجاء في ذات الصفحة أن قبيلة شافع كانت نحو 20 دوارا، وكان أبناؤها جنودا عند الإسبان على خلاف بقية بني عامر الذين مثلوا رعية للنصارى لا جندا.

ج- السبي والأسر:

نتيجة للصراع الطويل والمستمر وقع بعض أبناء هذه القبائل أسرى لدى الإسبان وأُخذ بعضهم رهائن لديهم، فمنهم من تم تحريره ومنهم من بيع وهو في الأصل حر نتيجة عدم قدرة أهله على دفع الضرائب للعدو، وعُمّد بعض هؤلاء لا سيما صغار السن منهم، وكانت أعدادهم في حدود الثلاثين كل عام، غير أن الذين ظلوا مسيحيين حقا هم فقط الذين تلقوا «السر المقدس» في سن السابعة أو دون ذلك [1].

وقد عُثر على مخطوط في أرشيفات حكومة الجزائر في العهد الاستعماري يصف مراسيم التعميد، حيث يكون هؤلاء الصبية قد لُقنوا مبادئ عقيدة التثليث، ثم يُؤخذون - في يوم يحدد مسبقا- إلى الكنيسة في موكب مهيب يراقبه جميع السكان ويحضره حاكم المدينة والموظفون التابعون له، وقد ألبس الأطفال ثيابا بيضاء ووضعت على رؤوسهم تيجان من الورد، ثم يلقنهم الكاهن الأعظم «السر المقدس» وتعطى لهم أسماء جديدة، وبذلك يشكلون فوج «المسيحيين الجدد» [2].

ومن التعميد جاء وصفهم بالمغاطيس [3]، غير أن صاحب «بهجة الناظر» يرى أن القبائل التي كانت موالية للإسبان سُمي أبناؤها كذلك لأنهم مثلوا عيونا لهم، فكانوا يقومون بالتغطيس أي الوشاية بالناس عند الإسبان، وقد أطلِقت هذه التسمية في الأصل على قبيلة كرشتل [4] ثم عُممت على غيرهم لمشاركتهم لهم في الفعل [1].

---

1 - Don José Vallejo, Op.cit, p 368
2 - Don José Vallejo, Ibid, p 368
3 - baptisés.
Esterhazy, De la domination turque … Op.cit, p 231
4 - نسبة إلى جدهم كرشتل بن محمد بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل بن عبد الرحمن المغراوي وهم من زناتة، وكانوا على قلة عددهم ذوي قوة وشوكة، أصل موطنهم مصب نهر

كانت كرشتل هذه صاحبة أراضٍ شرق وهران تقترب من ميناء أرزيو وتعادل قرابة مرحلة انطلاقا من المدينة، يُنتِجون فيها ثمارا كثيرة يبيعونها في وهران، ولم يكن الإسبان يطالبونهم بأكثر من دجاجة في العام لكن في المقابل يتم تكليف اثنين من القبيلة يراقبان – لصالح الإسبان – كل ما يحدث في ميناء أرزيو، إضافة إلى جاهزية القبيلة للدفاع عن المدينة المستعمرة إذا اقتضى الأمر ذلك [2].

كان إذاً طمعُ بني عامر في أموال الإسبان هو الدافع إلى تزويدهم بكل ما يجعلهم قادرين على الصمود، فـ «لم يكن أحد أشد اعتناء وإعانة للإسبانيين بكل ما يحتاجون إليه من التبن والحشيش والحطب والسمن واللبن والعسل والضأن والمعز والبقر والخيل والإبل والبغال والحمير من جميع الأعراب الداخلين تحت حكمهم مثل أولاد علي أخزاهم الله ولعنهم وأخلى منهم الأرض وصيّرهم حطبا لجهنم! وبئس المصير، فكانوا لا ينقطعون عنهم بذلك ليلا ولا نهارًا رغبةً لما لهم في ذلك من الثمن الكثير» [3].

ومن القبائل التي عانت من محاولات التوسع الإسباني بنو شقران الذين أثخن فيهم الإسبان وسبوا، ثم وسعوا سيطرتهم على المنطقة، وقد أشار أبو راس الناصر

الشلف في البحر المتوسط، ثم انتقلوا إلى مزغران غرب مستغانم ثم إلى سيرات شرق مستنقعات المقطع. وقد تحولوا إلى عيون يجلبون الأخبار للإسبان. يراجع:
عبد القادر المشرفي، مرجع سابق، ص 13

1 – عبد القادر المشرفي، نفسه، ص 13

2 - Mohamed El Korso et Mikel de Epalza, Op.cit, pp 42 - 43

3 – عبد القادر المشرفي، مرجع سابق، ص ص 36 – 37

إلى ذلك بقوله: «ثم غزوا فروحة بغريس أرض الشيخ سيدي محمد بن يحيى [1] ... فلقوا خيلا من بني عياد أحد بطون الحشم فتحاربوا فاستشهد منهم العروسي أحد أجواد غريس» و«في الستين من القرن العاشر غزوا على زاوية الشيخ عيسى بن موسى [2] التيجاني وهو نازل شرقي نهر الطاغية...»

«وكان طاغية النصارى ... يشن الغارات على المسلمين إلى أن دخل في طاعته الونازرة [3] وقيزة وشافع وحميان وأولاد علي وأولاد عبد الله [4] وغيرهم من بني عامر وغمرة، منهم شيعته الذين ينصرونه ويعتمد عليهم في جلب الأخبار والمسير في الطريق، واتخذ منهم جواسيس يقال لهم المغاطيس، وقويت بهم شوكته وتعددت غزاته على الأبعدين والأقربين ... فصارت سيرات وملاتة من جملة بلاده التي تحت

1 – محمد بن يحيى دفين فروحة من قرى معسكر، كان له مجلس يدرّس فيه علم التوحيد في عقيدة السنوسي الصغرى. يراجع:
ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تقديم عبد الرحمن طالب، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1981، ص 275

2 – الشيخ عيسى بن موسى دفين قرية وادي التاغية (الطاغية) جنوب معسكر، وهو عالم له قصيدة غوثية عنوانها «بغية الطالب في ذكر الكواكب». يراجع:
محمد بن يوسف الزياني، مرجع سابق، ص 144

3 – من بني عامر، ينتمون إلى بطن بني حميد، وينتسبون إلى ونزار بن عبد الله بن سقير بن عامر بن إبراهيم ابن يعقوب بن معروف. يراجع:
عبد القادر المشرفي، مرجع سابق، ص 23

4 – فرقة من بني عامر، ينسبون إلى عبد الله بن سقير بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد، كانت أرضهم تنتهي إلى المطمر الأحمر بوادي مينا، وكان لليهود عليهم صولة عظيمة. يراجع:
عبد القادر المشرفي، نفسه، ص 30

يده يتردد بها في ليله ونهاره ... وتكررت غَزاته على هبرة، والحرب بينهم وبينه سجال إلى أن تلاشوا واضمحلوا» [1]

وقد ذكر صاحب دليل الحيران أن الإسبان غزوا زاوية أبي مهدي الشيخ سيدي عيسى ابن موسى التيجاني في وسط الستين من ق 10هـ وهو نازل شرقي نهر الطاغية، فلما أحس بهم «أمر زاويته وأهله بالرحيل فرحلوا من حينهم وعبروا النهر ودخلوا في غيطة كبيرة يقال لها دار الهنا، فلم يكن إلا يسيرا وإذا بالجند واقف في حافة الوادي الشرقية من النصارى وبني عامر، فلما لم يروا أحدا رجعوا ولم يعبروا النهر، ثم غزوا قرية الكرط أخرى ثم أخرى واستأصلوا سكانها وهرب الجل الباقي» [2]

غير أن هذا الغبن الذي عانى منه سكان الريف ببايلك الغرب قلّت حدته بعد تحرير وهران الأول عام 1708م على يد الباي مصطفى بوشلاغم، حيث صار الإسبان بعد عودتهم عام 1732م أقل قدرة على الحركة بحُرية في الأرياف «فانكسرت شوكتهم من الغزو العظيم على المسلمين ... وقطع الله فسادهم وأخمد نارهم وأذهب من أرض المسلمين آثارهم، فصاروا لا يفارقون الحصون ولا يفترقون ساعة عن الحراس والعيون» [3]

د- الضرائب:

على عكس حالة الغبن التي عرفها سكان ريف بايلك الغرب عموما، كانت لبعض القبائل الموالية للإسبان كشافع وحميان مكانة خاصة، حيث لا يضطرون إلى

1 - أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق محمد غالم، وهران: منشورات المركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ط 1، 2005، ص 44

2 - محمد بن يوسف الزياني، مرجع سابق، ص ص 144 - 145

3 - أبو راس الناصر، مرجع سابق، ص 45

طلب عهد أمان ولا يدفعون ضريبة ولا يتركون رهائن عندهم كما تفعل بقية القبائل [1]، لكن هل كان هذا الكرم الإسباني ليشمل هؤلاء بالمجان؟ أبدا. وإنما تبعا لما يقدمونه، حيث كانت الضريبة التي يدفعونها أثقل من ضرائب بقية القبائل، حيث «كانوا يقاتلون المسلمين مع عدوهم ويدفعون عنهم ويُغيرون على المحلة المنصورة بالله، وهي نازلة بكدية الخيار، حتى أنهم كانوا على المسلمين أشد مضضا من الكافرين» [2]

وقد أورد فاليو [3] أنموذجا لاتفاقية الحماية التي كانت تُعقد بين إسبان وهران والقبائل المتحالفة معهم، والمسماة بالسيغورو [4]، وهي تحمل في طياتها معنيين متقابلين؛ معنى الذلة والخضوع من قبل هذه القبائل، ومعنى الترفع من قبل العدو، وهذه ترجمة للوثيقة:

« أنا، الدون س، القائد العام لوهران والمرسى الكبير ومملكتَيْ تلمسان وتنس، وقد علمت برغبتكم أنتم شيخ قبيلة ... وقائدها في خدمة مولانا الملك والعيش تحت حمايته المَلكية، وبالطلب الذي قدمتموه بخصوص الدوار المكون من 10 خيام، وبالوعد الرسمي الذي قطعتموه على أنفسكم بخدمة مولانا الملك وجميع الجنود العاملين تحت راياته الملكية، وبناء على احترامكم لوعودكم مثلما أكدته بعض

1 - Don José Vallejo, Op.cit, p 360

2 – مختار حساني، تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني خلال ق 18م من خلال مخطوطتين؛ فتح مدينة وهران للجامعي والرحلة القمرية لابن زرفة، الجزائر: مخبر المخطوطات بجامعة بوزريعة، ط 1، 2003، ص 84

3 - Don José Vallejo, Op.cit, p 361- 362

4 - Seguro

وكان يقال لها أيضا ضريبة الثمن وضريبة الأمان. يراجع:

عبد القادر فكاير، مرجع سابق، ص 244

المصادر الموثوقة، قررت قبول هذا الاتفاق الذي يجعلكم تحت تصرفنا حتى نهاية شهر أوت من السنة المقبلة.

إن عليكم دفع ضريبة لجلالة الملك تساوي 20 دوبلة قمحاً، وهو ما يمثل ضريبة الرومية، أي بمقدار دوبلتين لكل خيمة. ومن أجل كل دوبلة تدفعون مقدارا من القمح سيتم تحديده عند فرض ضريبة الحصاد، ويوضع القمح في المخازن الملكية.

وإذا أراد العرب الأعداء الانضمام إلى دواركم أو قبيلتكم وجب عليكم ردهم بالقوة، فإذا أصروا على ذلك ابعثوا إليّ بتقرير مفصل حول هذه الوضعية. وكل إهمال من قبلكم سيجر عليكم وعلى دواركم عقابا قاسيا كأنكم ارتكبتم جرما في حق جلالته.

هذا الاتفاق تقدمونه إلى مكاتب الإدارة والمحاسبة، وسيأخذها بعين الاعتبار كل من المراقب وأمين الصندوق عند تسليمكم وصولات بالمبالغ التي سددتموها دفعا للضريبة المذكورة أعلاه. وكل دوار من قبيلتكم لا يروم تحالفا معنا كالذي كان بيننا وبينكم سيتم اعتباره عدوا لنا.

وإثباتا لما سبق أسلمكم هذا الاتفاق الممضى بيدنا والحامل لشعارنا والممضى في المقابل من قبل أمين سرنا.

سلمت بالقصبة الملكية بوهران يوم ...»

ونتيجة لمواقف هذه القبائل المتخاذلة صار الناس «يعايرونهم بالدخول تحت ذمة الكوافر، وافتراشهم بناتهم الحرائر، فكأن ذلك ما قرع أسماعهم ولا طرق رباعهم، والعياذ بالله من طبع القلوب وغلظ الحجوب، فمن ذلك قول أبي العباس [1] أحمد بن عبد الله أبي محلى المساوري المراكشي...

1 – ثار على زيدان السعدي ومات قتيلا في 1021هـ – 1612م

فهل مبـــلغٌ عني قـبائـــلَ عامر ولا سيما مَـنْ قـــد ثـوى تـحـت كافـــر
ويا معشرَ الأتراك يا كلَّ عالمٍ وكـــُـــلَّ ولـــــيٍ حـــافـظٍ لـــلأوامـــر
أناشـــدكم بالله ما عـــذرُ كُـــلِكم لـــدى الله فـــي وهـــرانَ أمِّ الخـــنازر
أذلّكُم الجـــبار كـــيف رضـيـتمُ بســـــبي العـــذارى من بنات الأكابـر
فلا هـــمةَ تعـــلو بكم عن دَنِيَّة ولا غـــيـــرةَ تـــدعـــوكـم لـــلـــمآثـــر
ولا ذمـــة ترعـــونها في نبيكـم ولا حـــرمـــة تـــحـمـــونـــها بالبواتـر
عليكم أكاف الذل أين فحولكـم أما أبصرتم من السبي غير الحـرائر
وتحت اليـــهودي غادةٌ عربيـةٌ يـــعاليـها والخـــنزيرُ فـوق الهـزابـر [1]
ومـا مـنكـــمُ إلا خـــصيٌّ أذلَّـــهُ بهـــيســـمه النـصـــرانيُّ يا آل عامـر
أضَـــيْمُ الملوكِ أم تغـلبُ كافرٍ عليـــكم رماكـم فـــي جـوارِ الكـوافـر؟» [2]

كان ريف بايلك الغرب عرضة إلى ضغط أجنبي كبير، فقد فرض الإسبان ضرائب على القبائل التي كانت تسكن ضمن الأراضي التي يحتلونها، وكلفوا اليهود بجمعها «فكان اليهودي – لعنه الله – يخرج بمحلته لقبض الضريبة، فيضرب خباءه بوسط دواوير بني عامر من أولاد عبد الله وغيرهم، ثم يتصرف فيهم تصرف الملك في رعيته بما شاء أمرا ونهيا، فيصفّد هذا في الأغلال ويضع على رجلي هذا الأكبال،

1 – قال Gorguos:

«البيت خاطئ ولا يعطي أي معنى، وقد توقعت أنه وجب القول»:

«وتحت اليهود غادة عربية --- يلاعبها الخنزير فوق المزابر»

Gorguos, Bou Ras, historien inédit de l'Afrique septentrionale, Vol 05, Année 1861, p118

2 – محمد بن يوسف الزياني، مرجع سابق، ص ص 156 – 157

ويجلد هذا ويخلي سبيل هذا إلى غير ذلك دون متعرض له» [1]. وحدث أن الإسبان صاروا يجمعون الضريبة بأنفسهم بعد فساد علاقتهم باليهود.

وكان اتفاق القبائل مع حاكم وهران حول الضرائب يتم في القصبة إلا إذا اقتضت الظروف غير ذلك، عندها يكون الاتفاق في تمزوغة أو في مكان آخر، ويحضره شيوخ القبائل وفرسانها ليحصلوا في النهاية على «الأمان» [2]، وتحتفظ كل قبيلة بالأرض التي بحوزتها ما لم ترفض دفع الضريبة، وما لم يتمرد بعض أفرادها على سلطة الإسبان [3].

ومن هذه الضرائب الإسبانية:

الرومية: ضريبة سنوية يدفعها سكان الأرياف لينالوا الأمان، وهي اثنتان من الدوبلات Doblas عن كل خيمة، لكنها كانت غير ثابتة يتحكم فيها عدد خيام الدوار، كميات الإنتاج وأهمية الدوار في حد ذاته. ولذلك تخضع هذه الضريبة لاتفاقيات بين الإسبان وشيوخ القبائل التي صارت تدفع ضريبة عينية تتراوح ما بين 20000 و22000 فناق قمحا، أما شافع وهبرة فتدفع إضافة إلى هذا ما بين 5000 و6000 فناق شعيرا سنويا [4].

وتتعلق بهذه الضريبة أمور:

1 – عبد القادر المشرفي، مرجع سابق، ص 35

2 – أبدى بعض القبائل المجاورة للمرسى الكبير استعدادا للتحالف مع الإسبان فحصلوا على «الأمان» أول مرة في مارس 1507م. يراجع:

Diego Suarez Montanes, Op.cit, p 410

3 - Mohamed El Korso et Mikel de Epalza, Op.cit, pp 37 - 38

4 - Mohamed El Korso et Mikel de Epalza, Ibid, p 47

أ- يتم تحديد مقدارها في شهر جوان حين يجمع حاكم مدينة وهران كل شيوخ القبائل ورؤساء العشائر ضمن مجلس يقدم له الطعام الذي يكون من الفواكه والسمك باعتبار الضيوف مسلمين لا يثقون في طريقة ذبح المواشي، ثم تحدد قيمة الدوبلة، وبعد ذلك يكافَؤُ الشيوخ بكميات من تبغ البرازيل وبعض النقود كمنحةٍ جزاءَ تعاونهم [1].

ب- حين تنتهي إجراءات دفع الضريبة تُكافَؤ الشخصيات الكبرى على دعمها للإسبان من خلال جمع الضرائب وتزويد مدينة وهران بالمواد الأساسية خصوصا القمح، ولهذا يحصل هؤلاء على مبالغ تصل حتى 100 بياستر، ثم يكرّمون بريال فضي عن كل كمية من القمح أوصلوها إلى الإسبان [2].

ت- من باب إبداء حسن النية في سداد هذه الضرائب يقدم كل شيخ دوار بعض أبنائه أو أقاربه كرهائن يستقرون مؤقتا في وهران على حساب الخزينة الإسبانية، وحين يتأخر عن دفع الضريبة تعطى له مهلة إذا تجاوزها اعتبر عدوا لإسبانيا، ويعلَن هذا كتابيا ويعلق الإعلان على باب تلمسان أو كنستال، ويكون أمام المتأخرين حلان؛ إما دفع الضريبة الذي يسبقه الاعتذار عن التأخر مع طلب مهلة أخرى، وإما رحيل الدوار أو القبيلة هروبا من الإسبان، وفي هذه الحالة تباع الرهائن وتصب المبالغ في الخزينة الملكية [3].

ث- كان من مصلحة الإسبان أن تظل الاتفاقيات بينهم وبين القبائل المجاورة لوهران قائمة حتى يتكفل أبناؤها بزراعة الأرض التي كانت بأيديهم، وشيئا فشيئا مد الإسبان سلطانهم على 140 دوارا، واستفادوا من ضريبة إجمالية أعطت في بعض

1 - Henri-Léon Fey, Op.cit, p 226
2 - Don José Vallejo, Op.cit, p 360
3 - Don José Vallejo, Ibid, p 361

السنوات ما بين 15000 و16000 ميزورة [1] من القمح، وما بين 5000 و6000 ميزورة من الشعير [2].

الغرامة: يسميها الإسبان رسم «الثمن» وتدفعها قبائل «المغاطيس» حين تذهب إلى وهران لبيع الحبوب، أما عند ذهابها لبيع المواشي فتدفع بعضا منها ثمنا لذلك [3].

المغانم: هي ما يسلبه الإسبان من سكان الدواوير القريبة من المدينة بعد الغارة عليها، ومن ذلك قطعان الماشية والأسرى الذين يباعون جهرا [4].

استنتاج:

مثل بايلك الغرب – من الناحية السياسية – الواجهة العسكرية لإيالة الجزائر بقربه من إسبانيا واحتوائه على وهران والمرسى الكبير المستعمرتين منذ بداية ق 16م، ولذلك ظل طابعه مختلفا مقارنة ببقية البايلكات، خصوصا وقد تأثر بمجاورته للمغرب الأقصى الذي جمعته به مظاهر الصراع المستمر الذي انعكس على قبائل المنطقة فعرفت – في ظل هذه الظروف – حركية مستمرة لم تنته حتى بعد دخول الاستعمار الفرنسي.

1 – المعربة من الكلمة الفرنسية Mesure التي كانت تساوي ما بين 155 و160 لترا وكانت تستخدمها الوكالة التجارية الفرنسية. يراجع:
المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني؛ العملة، الأسعار والمداخيل، ج1، الجزائر: دار القصبة للنشر، ط1، 2009، ص 411

2 - Don José Vallejo, Op.cit, p 363

3 – توفيق دحماني، النظام الضريبي ببايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2003 – 2004، ص 69

4 – توفيق دحماني، نفسه، ص 70

لقد قسم الوجود الإسباني بوهران ومرساها الكبير سكان البايلك إلى قبائل معادية له وأخرى متحالفة معه. ورغم انحساره أساسا في المدينة فإنه أثّر على الريف من خلال المعارك التي خاضها وشبكات التجسس التي بثها والضرائب التي فرضها وحركات النهب والسلب التي قام بها، وهو ما أجبر الساكنة على ترك الزراعة والتحول إلى الرعي، وبذلك تخلت تدريجيا عن الاستقرار الذي هو دعامة الفعل الحضاري.

ورغم هذا الضغط الذي عرفه سكان الأرياف فإن كثيرا منهم حاولوا أن يعيشوا حياتهم بشكل طبيعي يزاولون الزراعة والرعي فيما بقي لهم من الأرض، وينعمون بعلاقات اجتماعية واسعة، ويعيشون بعاداتهم وتقاليدهم، يؤطرهم شيوخ القبائل ورجالات الزوايا خصوصا في مسائل القضاء والفتوى والتعليم، وحتى فيما تستوجبه الحياة اليومية من بيع وشراء وسلم وحرب وصلح وخصومة.

وتجدر الإشارة في الأخير إلى دور سلطة البايلك التي اجتهدت طوال ما يقرب من 03 قرون في كبح جماح الاحتلال ورد عدوانه، حتى أنها استطاعت تحرير المدينة والمرسى لمدة 24 عاما تمكن الإسبان بعدها من العودة. وكانت عينها خلال مرحلة الاحتلال يقظة للغاية من خلال شبكة التجسس وقبائل المخزن الموالية لمدينة الجزائر، ومن خلال زعماء الطرق الدينية الذين ظل يحركهم مبدأ جهاد الصليبيين.

المصادر والمراجع:

المصادر:

- ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمع واعتناء فارس كعوان، العلمة: بيت الحكمة، ط1، 2009

- ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تقديم عبد الرحمن طالب، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1981
- أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق محمد غالم، وهران: منشورات المركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ط 1، 2005
- حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط 2، 1982
- عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، بيروت: دار مكتبة الحياة، ط 1، 1972
- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد ابن عبد الكريم، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، 1981
- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط 2، 2007
- مسلم بن عبد القادر الوهراني، أنيس الغريب والمسافر، تقديم وتحقيق رابح بونار، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 1، 1974
- Diego Suarez Montanes, Mers-El-Kebir, traduit par Berbrugger, Revue Africaine, vol № 09, 1865
- Don José Vallejo, «Contribution à l'histoire du Vieil Oran», traduit et annoté par J. Cazenave, Revue Africaine, vol № 66, 1925
- Édouard Lapène, Tableau historique de la province d'Oran, depuis le départ des Espagnols en 1792, jusqu'à l'élévation d'Abdel-Kader en 1831, Metz, Bibliothèque Royale, 1842

- Elie de Primaudaie, «Documents inédits sur l'histoire de l'occupation éspagnole en Afrique, (1506-1574)», Revue Africaine, vol № 19, 1875
- Esterhazy, De la Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris, Librairie de Charles Gosselin, 1840
- Gorguos, « Notice sur le Bey d'Oran Mohammed El Kebir » Revue Africaine, vol № 2, 1857 -
- Gorguos, Bou Ras, historien inédit de l'Afrique septentrionale, Vol 05, Année 1861
- L, Guin, «Quelques notes sur les entreprises des Espagnols pendant la première occupation d'Oran», Revue Africaine, vol № 30, 1886

المراجع:

- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، 1830 – 1855، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1989
- توفيق دحماني، النظام الضريبي ببايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2003 – 2004
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط 2، 1980
- عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره، 1505-1792، الجزائر: دار هومة، ط 1، 2012
- فارس كعوان، المصطلحات التاريخية العثمانية في الجزائر؛ الباشا – الدنوش – البايلك كنماذج، مجلة مدارات تاريخية، عدد خاص، 2019
- فوزية لزغم، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، الجزائر: دار سنجاق الدين للكتاب، ط 1، 2009

- مختار حساني، تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني خلال ق 18م من خلال مخطوطتين؛ فتح مدينة وهران للجامعي والرحلة القمرية لابن زرفة، الجزائر: مخبر المخطوطات بجامعة بوزريعة، ط 1، 2003
- المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني؛ العملة، الأسعار والمداخيل، ج1، الجزائر: دار القصبة للنشر، ط 1، 2009
- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2000
- يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، الجزائر: دار البصائر، طبعة خاصة، 2009
- Mohamed El Korso et Mikel de Epalza, Oran et l'Ouest Algérien au 18 siècle d'après le rapport Aramburu, Alger, 1978
- Pierre Boyer, «Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger (XVIe-XIXe siècles)», Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, № 1, 1966